الفصل الثانى:
دور الزوجة المسلمة في إسعاد زوجها المسلم

لقد تبين لنا فيما سبق - أن للزوج المسلم دورا على جانب كبير من الأهمية، في إسعاد زوجته المسلمة. وأن أساس هذا الدور وقِوامَه، تقوى الله وطاعته وطاعةُ رسوله صلى الله عليه وسلم. وأن ذلك ينعكس على بيت الزوجية فيحس الطرفان معه بالاستقرار في حياتهما الزوجية، كما يحسان بطعم جديد لها..

وكذلك الأمر بالنسبة للزوجة المسلمة. فإن دورها في إسعاد زوجها وبيتها الذي هو بيت الزوجية - في غاية الأهمية أيضا. وبصفة خاصة إذا أدته الزوجة كما ينبغى أن يكون. وحينئذ تزداد السعادة حلاوة. وربما يمتد شهر العسل ويستمر مع ذلك طوال حياتهما. فيجعلها كلَّها سعادة ربانية حلوة الطعم واضحة الأثر..

وأول بنود هذه السعادة المنشودة للزوج المسلم من قِبَل زوجته المسلمة - أن تتقى الله سبحانه وتعالى، وتسعى إلى إرضاء زوجها وطاعته.. فتقواها لله جل جلاله تسلط لها الأضواء الكاشفة على طريق السعادة، فيظهر أمامها واضحا، ويجعلها تتصرف في كل أمور حياتها مع زوجها بما يوجبه عليها الشرع الإسلامى والعقل الإنسانى المتأثر بهذا الشرع الربانى. وبهذا التوجه المتزن، تكون الزوجة المسلمة بعيدةً عن أخطاءَ كثيرة تقع فيها الكثيرات من بنات جنسها، وبه تتطلع إلى الخير والصحة في كل تصرفاتها وسلوكياتها بعزيمة وإصرار. وكل ذلك يجعلها تحس مع زوجها بسعادة حقيقية مصدرها تقوى الله العلى القدير...

كما أن طاعتها لزوجها وحرصها على إرضائه تدخلها في دائرة الأمان والاستقرار - ما دامت ملتزمة بتقوى الله سبحانه وتعالى. فتحس بالمزيد من السعادة والهناء في حياتها الزوجية.

في القرآن الكريم

وفى القرآن الكريم منهج متكامل للزوجة المسلمة، يحتوى على الخطوط العريضة للتصرفات الصالحة والمقبولة في كل أمور حياتها مع زوجها، وفى بيتها الإسلامى الناشئ.. وتتضح بعض خطوط هذا البرنامج السماوى في الآيات الكريمة التالية يقول الحق تبارك وتعالى مخاطبا زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمهات المؤمنين والقدوة الحسنة لبنات ونساء المسلمين جميعا:{وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾} [الأحزاب: ٣١ - ٣٤]. ويقول عز وجل:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾} [الأحزاب: ٥٩] ويقول أصدق القائلين سبحانه:{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ

أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾} [النور: ٣١]. ويقول المولى العظيم:{لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۖ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾} [الأحزاب: ٥٥] ويقول الحكيم العليم جل شأنه:{إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٣٥]..

ومن خلال هذا البرنامج القرآنى الذي احتوته الآيات الكريمة السابقة - نجد الله عز وجل يحدد طريق السعادة لزوجات رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويرسمه بدقة حتى يَسِرْنَ فيه ولا يَحِدْنَ عنه؛ فيصلن إلى الاستقرار والسعادة المنشودة في حياتهن الزوجية مع زوجهن الأمين محمد صلى الله عليه وسلم. ومن الواجب أن تقتدى بهن في ذلك سائر نساء المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها.. فعلى الزوجة المسلمة في هذا الإطار الشرعى الإسلامى - أن تطيع الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فأول ملامح طريق إسعاد الزوجة المسلمة لزوجها المسلم - هو تقوى الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.. وعليها أيضا أن تلتزم دائما بالعمل الصالح.. وعليها أن تقتدى في ذلك بأمهات المؤمنين رضى الله عنهن جميعا؛ " حتى تأخذ أجرها مرتين مثلهن؛ مرة على الطاعة والتقوى، وأخرى على طلب رضاء

زوجها بالقناعة وحسن المعاشرة " [1]، فيعد الله لها رزقا كريما في الجنة كزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم. " فهن في أعلى عليين ومنازلهن فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هى أقرب منازل الجنة إلى العرش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [2].

وعلى الزوجة المسلمة إذا أرادت أن تتقى الله تعالى في زوجها، أن تتجنب الرقة في الكلام مع الرجال، حتى لا يطمع فيها من كان في قلبه مرض كالفجور والريبة وحب محادثة النساء.

فإذا كلمت رجلا فليكن كلامها قولا حسنا لا ريبة فيه ولا تكسر. وقد قال ابن كثير رحمه الله في ذلك: " أى لا تخاطب الأجنبى كما تخاطب زوجها " [3]..

وعلى الزوجة المسلمة إذا أرادت إسعاد زوجها أن تستقر في بيته فلا تخرج إلا لضرورة.. وعليها كذلك ألا تظهر زينتها ومحاسنها للأجانب كما كانت تفعل نساء الجاهلية. حيث كانت المرأة منهن تخرج إلى الأسواق لقضاء مصالحها، مظهرة محاسنها، كاشفة أجزاء من جسمها لا يليق بها كشفها. ومما كانت تظهره من ذلك، التكسر والتغنج في المشية أى الدلال فيها. قال قتادة: " كانت لهن مشية فيها تكسر وتَغَنُّج " [4].. وبهذا التصرف المشين من هؤلاء النسوة الجاهلات

(1) ص58 من الجزء الثانى عشر من كتاب صفوة التفاسير - للشيخ المرحوم محمد على الصابونى - الطبعة الأولى سورة الأحزاب آية31.
(2) ص452 من الجزء الثالث من تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
(3) ص59 من القسم الثانى عشر من كتاب صفوة التفاسير الطبعة الأولى.
(4) تفسير الآية 59 من سورة الأحزاب من القسم الثانى عشر من المرجع السابق - والتغنج في المشية هو الدلال وبلهجتنا الدارجة الدلع والميوعة في المشى.

كان يتبع من تمشى هذه المشية نفوس وضيعة من الرجال الأشقياء والتعساء ليمارسوا معها الفاحشة. ولهذا نهى القرآن الكريم نساء المؤمنين من تقليد هؤلاء التعيسات في مشيتهن وسلوكهن.

وعلى الزوجة المسلمة كذلك إذا أرادت إسعاد زوجها المسلم - أن تقيم الصلوات الخمس وتحافظ عليها. وأن تخرج زكاة أموالها، وأن تطيع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في كل ما أمرا به وتنتهي عن كل ما نهيا عنه؛ لتتطهر من رجس وهواجس الشيطان الرجيم..

وإذا كانت الشريعة الإسلامية تطلب من الزوجة المسلمة أن تحافظ على نفسها وعرضها وكرامتها خارج البيت - فإن كل ذلك مطلوب منها أيضا داخله. وذلك إذا دخل بيتها أجنبى فإذا خلت الدار من الأجانب، فلا مانع حينئذ من ترك الحجاب أمام محارمها من الرجال، وهم: أبوها، وأبناؤها، وإخوانها، وأبناءإخوانها، وأبناءأخواتها، ونساء المؤمنين دون نساء الكفار؛ لأن النساء الكوافر لا يجدن غضاضة أوحرجا في أن يكشفن ويُذعن أسرار المؤمنات اللاتى يدخلن بيوتهن، وكذلك تكشف الزوجة المسلمة في بيتها الحجاب عن ملك يمينها من العبيد لأنهم يخدمونها ويأتمرون بأوامرها. وقد قال القرطبى رحمه الله في سبب نزول آية الحجاب وهى قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ} [الأحزاب: ٥٣]. قال القرطبى رحمه الله: " لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ونحن أيضا نكلمهن من

وراء حجاب؟ فنزلت الآية " [1]. ويقصد القرطبى رحمه الله فنزل قوله تعالى:{لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ} الآية [الأحزاب: ٥٥].. وقد استثنت آية المحارم نساء المؤمنين دون نساء الكفار لما سبق أن بيناه من كشف نساء الكفار لعورات وأسرار المؤمنات اللائى يدخلن بيوتهن فيصفنهن لأزواجهن. وقد قال بن عباس في بيان ذلك: " لأن نساء اليهود والنصارى يصفن لأزواجهن النساء المسلمات. فلا يحل للمسلمة أن تبدى شيئا منها لئلا تصفها لزوجها الكافر " [2]..

وعلى الزوجة المسلمة كذلك بعد تقوى الله في السر والعلن - أن تقرأ وتفهم آيات القرآن الكريم وسوره، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كانت تفعل أمهات المؤمنين رضى الله عنهن أجمعين؛ لتزداد علما بما هو مطلوب منها داخل بيت الزوجية وخارجه. وقد مر الحديث عن وجوب تعلم المرأة لتهيئة المناخ المناسب لسعادتها وسعادة زوجها في بيت الزوجية..

واستكمالا للبرنامج القرآنى في حفاظ الزوجة المسلمة على زوجها المسلم - يوضح القرآن الكريم العديد من الصفات الكريمة التي يجب أن تتصف بها الزوجة المسلمة لتكون جديرة بزوجها وببيت زوجها المسلم. وهى صفات يشترك فيها الزوج المسلم مع زوجته المسلمة ليكون شريكا لها في الأجر بقدر شراكتهما في بيت الزوجية..

فالزوجة في الإطار الإسلامى مثل زوجها في الالتزام بمبادئ

(1) القرطبى231/14. وانظر أيضا تفسيرها في ص71 من القسم الثانى عشر من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للشيخ محمد على الصابونى.
(2) انظر حاشية الصاوى 287/3وانظر ص71من القسم الثانى عشر من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للشيخ محمد على الصابونى.

الإيمان والإسلام، وفى الطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وفى الصدق في القول والفعل، مع النفس ومع الله ورسوله ومع الأقارب والجيران ومع الناس جميعا، وفى الصبر على الطاعة والعبادة، والصبر على قضاء الله وقدره، وفى الخشوع لله عز وجل وحسن عبادته وطاعته، وفى إخراج زكاة المال وصدقة التطوع، وفى صوم رمضان وغيره من الأيام التي حبب الإسلام الصيام فيها، مع استئذان زوجها فيما تصومه من غير الفريضة، وفى الامتناع عن فعل المعاصى والآثام وعن ممارسة الكبائر وبصفة خاصة الزنى ومقدماته، يقول تعالى:{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} الآية [النور: ٣١]. وفى الإكثار من ذكر الله عز وجل والتمتع بفوائده. وهى بكل ذلك تشاركه في التمتع بالمغفرة والأجر العظيم من الله جل جلاله في الآخرة. علاوة على تمتعها في الدنيا بالعيش الكريم والسعادة في بيت الزوجية وإسعاد زوجها فيه وخارجه...

في السنة النبوية:

وفى السنة النبوية الكريمة أيضا برنامج لاستكمال مظاهر التقوى عند الزوجة واهتمامها بزوجها وطاعتها له..

ومما ورد في إطار منهج السنة النبوية المباركة بشأن تقوى الزوجة المسلمة ومحافظتها على زوجها وبيتها - ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن:♂**يا معشر**[1] **النساء اتقين الله والتمسن مرضاة أزواجكن، فإن المرأة لو تعلم حق زوجها لم تزل قائمة ماحضر غذاؤه وعشاؤه**[2] ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه

(1) كتبت هكذا في كتب الحديث خلافا للقاعدة اللغوية.
(2) رواه أبو نعيم في الحلية عن علىّ. وانظر ص 140، ص 141من كتاب الزوجة

وسلم في طاعة المرأة لزوجها، وعدم خروجها من البيت إلا بإذنه: ♂**أيما اِمْرَأةٍ خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت في سخط الله حتى ترجع أويرضى عنها زوجها**♂ [1]..

ويدخل في هذا الإطار ما روته كتب السنة في محافظة الزوجة المسلمة على حقوق زوجها المسلم. فمن هذه الحقوق الواجبة للزوج على زوجته والتى يسعد بأدائها له ووفائها بها من أجل إسعاده - ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم في إنفاق المرأة من مال زوجها: ♂**إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما اكتسب وللخازن مثل ذلك. لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئا**♂ [2]..

والزوجة المسلمة المطيعة لزوجها المسلم والمؤدية لحقوقه، والذاكرة لفضله عليها، والتى لا تخونه في نفسها وماله - تكون مقربة عند الله في الجنة من منزلة الشهداء ويجعلها الله تعالى قرينة لزوجها في الجنة إذا كان صالح الدين والخلق في الدنيا. وفى ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :♂**إنه ليس من امرأة أطاعت زوجها وأدت حق زوجها وتذكرت حسنته ولا تخونه في نفسها وماله إلا كان بينها وبين الشهداء درجة واحدة في الجنة. فإن كان زوجها مؤمنا حسن الخُلق فهى زوجته في الجنة وإلا زوجها الله من الشهداء**♂ [3]..

والزوجة المسلمة الحريصة على إسعاد زوجها وطاعته تسلم

المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

(1) رواه الخطيب ص 50 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه الشيخان عن عائشة ص11 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.

(3) رواه الطبرانى في الكبير عن ميمونة ص149 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

نفسها إليه إذا أرادها حتى لو كانت راكبة على ظهر جمل يسير في الصحراء. فتسعده وتسعد بسعادته. ولا تصوم يوما من غير الفريضة إلا بعد أن تستأذنه. فإن لم يأذن لها لم يصح صومها وكانت آثمة غير مطيعة له. ولا تهجر فراشه لأن الله عز وجل أثبت حق الهجر للزوج حال نشوز زوجته ولم يثبته لها وقد رأينا سابقا أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها نفت أن تكون قد مارست هجرا لزوجها محمد صلى الله عليه وسلم وقالت له: " أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك ".. وعليها أن تبر بقسمه إذا أقسم عليها أن تفعل شيئا، إلا أن يأمرها بشئ مخالف للشريعة الإسلامية فعندئذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جل وعلا. فطاعة الزوجة لزوجها واجبة في إطار تعاليم الشريعة الإسلامية وتوجيهاتها، حتى لو أمرها بفعل فيه ظلم لها. فعليها طاعته والتفاهم معه في رفع الظلم عنها. وسيتراجع عن ظلمه لها إن كان قوى الإيمان.

وعليها في إطار الشرع الإسلامى ألا توطئ فراشه من يكره. بل عليها ألا تُدْخِل بيته هذا الذي يكرهه، لأن ذلك يعتبر خيانة لا يرضى عنها الله ورسوله والمؤمنون. وهناك من الأحاديث النبوية ما يدل على كل هذه الأمور المعبرة عن حقوق الزوج المسلم لدى زوجته المسلمة. ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**حق الزوج على زوجته ألا تمنعه نفسهاوإن كانت على ظهر قتب، وألا تصوم يوما واحدا إلا بإذنه إلا الفريضة، فإن فعلت أثمت ولم يقبل منها، وألا تعطى من بيته شيئا إلا بإذنه، فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى تتوب أو تراجع وإن كان ظالما**[1].. وقوله صلى الله عليه وسلم :♂**حق الزوج على المرأة**

(1) رواه الطياليسى - القتب سرج يوضع على سنام الجمل يجلس فوقه الراكب. ص67 من مختار الأحاديث النبوية عن ابن عمر.

ألا تهجر فراشه، وأن تبر بقسمه، وأن تطيع أمره، وألا تخرج إلا بإذنه، وألا تُدخل عليه من يكره [1]..

ومن الواجبات الهامة على الزوجة المسلمة نحو زوجها المسلم، ألا تكلم أجنبيا إلا بإذنه. وكان شائعا في الجاهلية أن تُحَدِّث الزوجة أجنبيا عنها بغير إذن زوجها. فلما جاء الإسلام نهى عن ذلك الفعل إلا إذا كان بإذن من الزوج؛ لأن حديث الزوجة إلى الأجنبى عنها بغير إذن زوجها يثير مشاعره ضد زوجته وبالتالى يوغر صدره عليها حيث يترجم هذا الفعل عن قلة حياء المرأة المتزوجة التي تفعل ذلك دون موجب له ودون إذن زوجها أيضا. ومن هنا نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا الفعل. فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم : " نهى أن تكلم النساء إلا بإذن أزواجهن " [2].. حتى لو كان المتكلم في هذه الحالة هو شقيق الزوج. فكم من جريمة للزنى وقعت تحت شعار الحمو، وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم حمو الزوجة بأنه الموت. فقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من دخول الرجال على النساء فقال صلى الله عليه وسلم : ♂**إياكم والدخول على النساء**— فقال رجل من الأنصار: يارسول الله: أفرأيت الحمو؟ فقال صلى الله عليه وسلم :♂**الحمو الموت**— [3] فعلى الرغم من أن الحمو قريب للزوج قرابة مباشرة وقوية إلا أنه يعتبر أجنبيا عن زوجة شقيقه فيجب عليه إذا ألا يدخل عليها أو تدخل عليه إلا بمصاحبة زوجها، وألا يكلمها إلا بإذنه. ومن ناحية أخرى فقد يكون هذا الداخل إلى بيت الزوجية سواء أكان حموا أم غيره، أو كان

(1) رواه الطبرانى عن نعيم الدارى ص67 من المرجع السابق.
(2)رواه الطبرانى ص154 من كتاب مختار الأحاديث النبوية للسيد أحمد الهاشمى.
(3) رواه البخارى ومسلم والترمذى ص 142 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

رجلا أو امرأة ممن يكره الزوج دخولهم - ناقلا لأسرار بيت الزوجية، فيفشى سر الزوجة مع زوجها. وقد تكون الداخلة امرأة ممن يحلو لهن أن يفسدن الزوجة على زوجها، حقدا على الزوجين وبيتهما السعيد. وإذن فيجب على الزوجة المسلمة أن تأخذ حذرها وتحترس من هذا النوع من النسوة اللاتى يخربن بيوت الزوجات المسلمات المستقيمات. وعلى الزوجة أن تطيع زوجها في أمر من يدخل بيتهما ومن لا يدخل؛ حفاظا على رباط الزوجية الذي يحترمه الإسلام، ويدعو دائما إلى الحفاظ عليه من الطرفين. وهى بذلك تساهم في إسعاد زوجها واستقرار بيتها وسعادته بقسط وافر، وذلك مما يعود عليها هى أيضا بالنفع والسعادة..

وفى كتب السنة النبوية الكريمة بشريات من رسول الله صلى الله عليه وسلم للزوجات المسلمات المطيعات لأزواجهن، بالأجر العظيم من الله تبارك وتعالى عند الحمل والولادة والرضاعة. وقد خص الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأجر بالزوجات المسلمات اللاتى لا تعصين أزواجهن ولا تكفرن بعشرتهم وتتنكرن لهم. ويقول النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك مخاطبا سلامة مرضعة ولده إبراهيم حينما سألته رضى الله عنها - بعد أن دستها صاحباتها من النساء لذلك - عما يعود على النساء من فوائد الحمل والرضاعة والمعاناة من ذلك دون الرجال: ♂**أما ترضى إحداكن إذا كانت حاملا من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله؟ وإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفى لها من قرة أعين. فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم يمص من ثديها مصة إلا كان لها بكل جرعة حسنة وبكل مصة حسنة. فإن أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهم في سبيل الله.. سلامة.. أتدرين من أعنى بهذا؟ المتنعمات الصالحات**

المطيعات لأزواجهن اللائى لا يكفرن العشير [1]..

وكانت أول المبشرات بالجنة من النساء جزاء ما قدمت لزوجها من دعم وطاعة وإيمان والتزام بكل واجبات الزوجة على زوجها - أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها، التي كانت أيضا أولى زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد ساعدته ماديا ومعنويا حتى شرع في تبليغ رسالته الخالدة وكانت سببا في صموده أمام أعداء رسالة الإسلام وكانت أول من آمن به من النساء. ومن أجل ذلك أُمِرَ المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يبشرها ببيت في الجنة من الذهب. وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**أُمِرتُ أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب** [2]..

وليس هذا فحسب فكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يوصى النساء بطاعة ربهن وأزواجهن، وبأداء حقوق الزوج على زوجته بكل رضا وطواعية.. ومن وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء بالتزامهن بطاعة أزواجهن وأدائهن لحقوقهم كاملة - ما قاله صلى الله عليه وسلم في لقائه ببعض نساء المسلمين، حيث قال صلى الله عليه وسلم :♂**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار**، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يارسول الله أكثر أهل النار!! قال:**تكثرن اللعن وتكفرن العشير. وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن**. قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال صلى الله عليه وسلم :♂**أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا من نقصان العقل، وتمكث الليالى**

(1) رواه الطبرانى في الأوسط وابن عساكر ص 142، ص143 من المرجع السابق.
(2) أخرجه الخطيب والطبرانى ص50 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى. قصد: ذهب.

ما تصلى وتفطر في رمضان، فهذا من نقصان الدين[1] ومن ذلك أيضا ما روى في حديث ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم :♂**ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط، أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء** قالوا: لِمَ يا رسول الله؟ قال:♂**لكفرهن**. قيل: أيكفرن بالله؟ قال:♂**يكفرن العشير ويكفرن الإحسان. لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط**[2]..

وهذا الصنف من النسوة الذي تحدث عنه النبى صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف - هو الذي حذر منه الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم سلامة مرضعة ولده إبراهيم. فهن يظلمن أزواجهن ولا يقمن بحقهن عليهم.. فالرسول صلى الله عليه وسلم يحذر المسلمين والمسلمات من مخالتطهن والسماح لهن بزيارة النساء العفيفات المؤمنات الطائعات اللائى يقمن بحق أزواجهن، وقد شُرع الاستئذان قبل الدخول مراعاة لمثل هذه الأحوال حتى تحفظ زوجات المسلمين أسرارهن وأسرار بيوتهن فلا تتمكن ضعيفات الإيمان والناقلات لأسرار المسلمات من نساء اليهود والنصارى من نقلها إلى أزواجهن الكفار. وإذن فطاعة الزوجة لزوجها في مثل هذه الأحوال واجبة لما ذكرناه من أسباب.

وعلى الزوجة المسلمة إذا أرادت إسعاد زوجها المسلم وبيتها المسلم - طاعة زوجها طاعة مطلقة في كل ما يطلبه منها، مما لا

(1) رواه البخارى وابن ماجة ص137 من كتاب من كنوز السنة - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - جزلة: أى ذات رأى وشجاعة قاله ابن الأثير والمقصود أنها قوية شديدة في كلامها. وارجع إلى الهامش في الصفحة السابقة بشأن يا معشر النساء.

(2) أخرجه البخارى عن مالك عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عباس. ص132، ص133 من موطأ مالك - طبعة الشعب.

معصية فيه لله ورسوله. فقد جعلها الإسلام عنده كالرقيقة من حيث وجوب طاعته في كل ما يأمرها به. والزوجة المسلمة تثاب على هذه الطاعة ثوابا عظيما من رب العزة سبحانه وتعالى. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**ـــ [1]..

وقد يكون من ثواب المرأة في طاعتها لزوجها أن يغفر الله لأبيها إذاكان مذنبا. فقد " خرج رجل إلى سفر وعهد إلى امرأته ألا تنزل من العلو إلى أسفل. وكان أبوها في الأسفل فمرض. فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها، فقال لها صلى الله عليه وسلم :♂**أطيعى زوجك**ـــ فمات - الوالد - فاستأمرته، فقال:♂**أطيعى زوجك**ـــ. فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها " أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها " [2].

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: " أتت فتاة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إنى فتاة أخطب فأكره التزويج، فما حق الزوج على المرأة؟ قال:♂**لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره**ـــ. قالت: أفلا أتزوج؟. قال:♂**بلى تزوجى فإنه خير**ـــ [3]..

(1) رواه الترمذى وابن ماجة من حديث أم سلمة ص 50 من كتاب مختار الأحاديث النبوية للسيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه الطبرانى في الأوسط من حديث أنس إلا أنه قال: غفر لأبيها. وفى ص 145، ص146 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى رواية مشابهة.

(3) رواه الحاكم وصحح إسناده من حديث أبى هريرة دون قوله " بلى تزوجى فإنه خير " - الفرق: فاصل بين صفين من الشعر في الرأس.

ولقد صور رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الزوج على الزوجة تصويرا واقعيا في غاية الروعة فقال:ﷺ**لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق**ﷺ [1]. وإيضاحا لتلك الصورة ولحقيقتها يقول النبى صلى الله عليه وسلم :ﷺ**لو أمرت شيئا أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذى نفسى بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها**ﷺ [2]..

ومن حق الزوج على زوجته ألا تؤذيه بأى نوع من الإيذاء. والزوجة المؤمنة الصالحة تحرص على ذلك كل الحرص حتى لا تفقده في الآخرة. فقد روى معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ﷺ**لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**ﷺ [3]..

ويدخل في هذا الإطار ماتفعله بعض النساء مع أزواجهن من التمنع إذا أرادوهن، تمنعا بغير مانع شرعى عندهن. وقد حذرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ونَفَّرَ منه قول النبى صلى الله عليه وسلم :ﷺ**لعن الله المغسلة إذا أرادها زوجها قالت: أنا حائض**ﷺ [4].. وهى بالطبع ليست كما قالت. إذ لو كانت حائضا ما

(1) رواه أبو داود ص122 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه ابن ماجة عن معاذ ص487 من منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور

(3) رواه الترمذى وابن ماجة وأحمد ص 235 من الزوجة المسلمة والبيت السعيد للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

(4) رواه البخارى في التاريخ عن أبى هريرة ص141 من المرجع السابق.

أرادها زوجها المسلم؛ لأن الله عز وجل خاطب الأزواج المسلمين ونهاهم عن إتيان زوجاتهم إذا كن في فترة الحيض، فقال جل شأنه: {فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ} [البقرة: ٢٢٢]. فقد نهى الله الأزواج المسلمين عن مجامعة نسائهن في أثناء حيضهن وإلى أن يتطهرن منه.. ومن هذا القبيل كذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر النساء المتزوجات من التسويف إذا أرادهن أزواجهن. فبعض النساء يتظاهرن بالقبول إذا أرادهن أزواجهن ويراوغنهم إلى أن يغلبهم النوم. وقد حذر صلى الله عليه وسلم المتزوجات من ذلك فقال: ﷺ **لعن الله المسوفات التي يدعوها زوجها إلى فراشه فتقول: سوف حتى تغلبه عيناه** [1]..

كما أن الزوجة المسلمة التي تعمل على راحة زوجها المسلم وإسعاده - عليها أن تقوم بكل خدمة تقدر عليها في بيت زوجها. وهذا يؤدى بالفعل إلى رضا الزوج وسعادته فتمتد هذه السعادة وتستمر وتؤثر فيه خير تأثير.. وقد ضربت أسماء بنت أبى بكر الصديق - ذات النطاقين - رضى الله عنها مثلا أعلى في هذا الشأن يجب أن تقتدى به كل زوجة مسلمة. فقد روى عن أسماء رضى الله عنها أنها قالت:

" تزوجنى الزبير، وماله في الأرض من مال، ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه وناضحه. فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته، وأسوسه، وأدق النوى لناضحه وأعلفه، وأستقى الماء، وأخرز غربه وأعجن. وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل إلىّ أبو بكر جارية فكفتنى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى. ولقيت رسول الله

(1) أخرجه الطبرانى عن عبد الله بن عمر ص 141 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - عبد العزيز الشناوى.

صلى الله عليه وسلم يوما ومعه أصحابه، والنوى على رأسى، فقال صلى الله عليه وسلم آخ آخ، لينيخ ناقته ويحملنى خلفه؛ فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس؛ فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى استحييت فمضى. فجئت الزبير، فحكيت له ما جرى، فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشد علىّ من ركوبك معه " [1] وبهذا قدر الزوج تعب زوجته.. فقد قدر الزوج تعب زوجته من أجله ومن أجل سير بيت الزوجية على أحسن حال.. وكانت النساء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهن قدوة حسنة لغيرهن من النساء في عصور الإسلام المتلاحقة - تحرص كل الحرص على إرضاء أزواجهن وطاعتهم وخدمتهم، لينلن الأجر العظيم من الله جل جلاله يوم القيامة.

فعن أسماء بنت يزيد الأنصارية، أنها أتت النبى صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه، فقالت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله عز وجل بعثك للرجال وللنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، إنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالحج والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وأن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا - حفظنا لكم أولادكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم، أفنشارككم في الأجر والخير؟. فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال:♂**هل سمعتم**

(1) روته أسماء بنت أبى بكر - متفق عليه. ص102 من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السيد الشرقاوى - الطبعة الثانية عام 1986 وانظر كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت - يونيو 1984ص115. ناضحه: بعيره الذي ينضح له الماء - أخرز عزبه أخيط دلوه وأزينه.

مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها مِنْ هذه؟ـــ. فقالوا: يارسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا.. فالتفت النبى إليها فقال:♂**افهمى أيتها المرأة، وأَعْلِمى مَنْ خلفك من النساء، أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله ـــ.** فانصرفت المرأة وهى تهلل، حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب، وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحن وآمَنَّ جميعهن " [1]..

ويصور الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم مدى أحقية الزوج المسلم بطاعة زوجته المسلمة له وحسن معاملتها له وتحملها لما يحدث منه من إيذاء لها غير متعمد، أومتعمد لا يمثل خطورة على الحياة الزوجية، ولا يؤثر في أدائه لحقوقهاعليه كزوجة، فيقول نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم لامرأة جاءت تسأله عن حق ابن عمها عليها كزوجة له:♂**من حقه أن لو سال منخراه دما وقيحا فلحسته بلسانها ما أدت حقه، ولو كان ينبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لما فضله الله عليها ـــ** فما كان من المرأة السائلة إلا أن قالت: والذى بعثك بالحق لا أتزوج ما بقيت الدنيا " [2]..

وعلى الرغم من أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقصد بحديثه للمرأة السائلة أن يصرف نظرها عن الزواج، فإن المرأة خافت من أن تقصر في حق من حقوق زوجها فتحاسب على ذلك فآثرت عدم الزواج من وجهة نظرها كما فهم من النص..

(1) رواه مسلم - المرأة العربية 36/3 من كتاب المرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر - للمرحوم الدكتور عبد الله شحاته ص73، ص74. تهلل أى تقول لا إله إلا الله.

(2) رواه البزار والحاكم عن أبى هريرة ص139 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

وحتى تتمكن الزوجة المسلمة من أداء رسالتها في بيت الزوجية وترعى زوجها وأولادها وبناتها، وتعطى كل ذى حق حقه - أوجب عليها الإسلام التعلم، منذ صغرها وحتى تصل إلى بيت الزوجية، تماما كما أوجبه على الرجل. ولكل مرحلة قسطها من التعلم.. فالبنت تتعلم وتزود نفسها من العلوم المختلفة حتى تزداد معارفها وتصل إلى ما ينفعها من العلم في حياتها العملية قبل دخولها معترك هذه الحياة. وقد ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يفيد وجوب هذا التعلم ويحث عليه؛ ففى القرآن الكريم يقول الحق تبارك وتعالى:{ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾} [الأحزاب: ٣٤]..

فطلب العلم واجب على أمهات المؤمنين بنص الآية الكريمة. ومن ثم فهو واجب على كل المسلمات ممن تعيش منهن وممن تأتى بعدهن إلى يوم القيامة، أن يطلبن العلم النافع في جميع مجالات الحياة الدنيا والآخرة.. ويقول المولى الكريم سبحانه:{ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾} [آل عمران: ١٨].

فأولو العلم من الرجال والنساء شهدوا مع الله عز وجل وملائكته أنه سبحانه واحد لا إله غيره في الكون، عادل في قسمته للآجال والأرزاق. فلا معبود بحق إلا هو جل جلاله. وكثير من آيات القرآن الكريم الكريم تفيد بأن أهل العلم من الرجال والنساء هم أهل الإيمان والتقوى الذين يتصفون بكل الصفات الحميدة التي وردت في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع آية لهذه الصفات هى قوله تعالى: {إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ

وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾} [الأحزاب: ٣٥].

فكل الصفات التي وردت في الآية الكريمة لا يتصف بها عادة إلا أهل العلم من الرجال والنساء. فالله جل جلاله قد سوى بينهم في التكليف كما سوى بينهم في الأجر والثواب..

أما في السنة النبوية المباركة فهناك الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تدل على أن طلب العلم مفروض على الرجال والنساء على حد سواء. وفى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل بصفة عامة على أن طلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :♂**طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد في سبيل الله عز وجل**ـــ [1] ومنه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : ♂**من يرد الله به خيرا يفقه في الدين**ـــ [2]. فلفظ (من) يدل على الرجال والنساء جميعا. ومن هذه الأحاديث الشريفة كذلك، قوله صلى الله عليه وسلم :♂**طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر**ـــ [3]. وقد ورد هذا الحديث لابن عبد البر برواية أخرى فيها: " طلب

(1) رواه الديلمى ص93 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ سيد أحمد الهاشمى.
(2) رواه الشيخان عن معاوية ص166من المرجع السابق.
(3) رواه ابن عبد البرعن أنس ص93 من المرجع السابق.

العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " [1]..

وكذلك أوجب الإسلام على المرأة والبنت أن تحيط علما بعلوم عصرها النافعة لها ولبيتها وأسرتها ومجتمعها الإسلامى. وأن تحيط بالفنون النافعة لها في حياتها الأسرية كالطهى والغزل والنسج. كما أمر الإسلام أن تتجنب المرأة والبنت الفنون الهابطة غير النافعة فهى تضر ولا تنفع كالرقص والتمثيل الهابط، وكذلك الغناء بالنسبة للنساء فهو من الفنون غير الشرعية..

ومن الأهمية بمكان أن يعلم القائمون على الأمر في مختلف أقطار العالم الإسلامى - أن ما تتعلمه الفتاة من علوم وفنون مشروط بإنشاء مدارس ومعاهد وكليات خاصة بالبنات والنساء، وذلك لتجنب حدوث المشاكل العديدة التي تنتج عن اختلاط النساء بالرجال والفتيات بالشباب. وخصوصا في المجتمعات التي لم تنضج فكريا ولم تتهيأ لهذا الاختلاط بالأخذ الحاسم والدقيق بتعاليم الإسلام ومبادئه فيحدث نتيجة لذلك ما لا تحمد عقباه. وليس هذا فحسب بل الواجب الأهم هو إعداد جيل من المدرسات الخبيرات المتخصصات في مختلف فروع العلم النافع تزود به هذه المدارس والمعاهد والكليات النسائية.

وهذا مما يساعد النساء والفتيات على الإحاطة بالعلوم النافعة دون حرج، وبحرية تامة بعيدا عن الخزى والحرج التي تصاب به الفتيات والنساء في دور العلم المختلطة مما يترتب عليه غياب النفع

(1) صحح في الجامع الصغير بعض طرقه. ص73 من كتاب المرحوم الدكتور عبد الله شحاته: المرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر - الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984م.

التام من العلوم المدروسة على اختلاف أنواعها[1]..

ويؤيد هذا المسلك الإسلامى ما ورد في كتب السنة النبوية الكريمة من أن النبى صلى الله عليه وسلم طلب من الشفاء بنت عبد الله العدوية وكانت كاتبة في الجاهلية والإسلام - أن تعلم أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها تجويد الكتابة وتحسينها. ولم يطلب الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك من رجل أو شاب، وذلك على الرغم من قوة إيمان هذا الجيل من الشباب والرجال الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتزامه بتعاليم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وقد ورد عن البلاذرى قوله: قال النبى صلى الله عليه وسلم للشفاء بنت عبد الله العدوية من رهط عمر بن الخطاب: " ألا تعلمين حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة " [2].. ففى هذا الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم يحث المرأة على أن تعلم المرأة. وفيه تشجيع للأخذ بهذا الاتجاه.

وفى رسالته التي كتبها عن التعليم وتحدث فيها عن وجوب تعلم المرأة والبنت القرآن الكريم والعلم النافع - حث أبو الحسن القابسى المتوفى عام أربعمائة وثلاثة من الهجرة - على عدم اختلاط الرجال والشبان بالنساء والفتيات بحجة التعلم. وقد استدل على ذلك بقول سحنون - وهو عالم وفقيه مالكى: " أكره للمعلم أن يعلم الجوارى

(1) يتصرف واختصار من كتاب الاختلاط وما ينتج عنه من مساوئ الأخلاق - للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود - رئيس المحاكم الشرعية والشئون الدينية - بدولة قطر ص28 وما بعدها.

(2) من فتوح البلدان للبلاذرى ص458. واقرأ ص77من كتاب المرحوم الدكتور عبد الله شحاته: المرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر - رقية النملة: تحسين الكتابة بالأنامل أى الأصابع.

ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن " [1] وأقل درجات هذا الفساد هو أن يعطلهن عن التعلم المفيد..

ورغم كراهية علماء المسلمين لاختلاط الرجال بالنساء والشباب بالفتيات من أجل التعلم فقد يصبح هذا الاختلاط مباحا للضرورة على حذر إذا حدث نضوج فكرى في أقطار المجتمع الإسلامى بين الشباب والفتيات والرجال والنساء وتمسك الجميع بتعاليم ومبادئ الكتاب والسنة وعضوا عليها بالنواجذ وتمسكوا بها خير تمسك لتعصمهم من فتنة الاختلاط ومفاسده..

وفى ظل التحفظ وعدم الاختلاط بين الرجال والنساء سجل التاريخ الإسلامى جيلا من النساء العالمات الفقيهات المشتغلات بالعلوم المختلفة وفى مقدمتها علم القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة[2] كالحديث النبوى الشريف والفقه الإسلامى وغيرها من العلوم الإسلامية.. وكانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها على رأس هؤلاء النسوة. " فقد كانت عالمة جليلة تحدث الناس وتصحح للصحابة وتفتيهم وتستدرك على فتاويهم وأقوالهم، حتى ألف الإمام الزركشى كتابا أسماه: الإجابة لإيراد ما تستدركه عائشة على الصحابة " [3] وقد رأينا العديد من نساء هذا الجيل المبارك الذي ترأسه بعض أمهات المؤمنين زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم كن يشتغلن بمختلف الفنون اللازمة للمرأة في السلم والحرب... وقد ورد ذكر بعض هذه الفنون في القرآن الكريم، وأكثرها في كتب السنة النبوية المباركة..

(1) ص78 من المرجع السابق.
(2) المرجعين السابقين بتصرف واختصار من فتوح البلدان للبلاذرى ص458 وما بعدها، والمرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر ص77 وما بعدها.
(3) ص81 من كتا ب الدكتور عبد الله شحاته: المرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر.

ففى القرآن الكريم: ورد في سورة القصص ما يشير إلى اشتغال ابنتى نبى الله شعيب عليه السلام - على اختلاف الروايات في نسبة البنتين إلى شعيب عليه السلام أو أخيه - بالرعى. قال تعالى على لسان موسى عليه السلام:{ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾} [القصص: ٢٣]. حيث وجدهما موسى عليه السلام تبعدان غنمهما عن مكان السقى حتى يخف الزحام فسقى لهما موسى لما علم بعدم وجود أحد معهما يقوى على السقى في الزحام وعلى رفع الحجر الذي يغطى البئر والذى لا يطيق رفعه إلا عشرة رجال فرفعه موسى منفردا وأعاده بعد سقى غنم البنتين[1].

وفى سورة النحل ما يشير إلى اشتغال بعض النساء بحرفة الغزل. وذلك في قوله تعالى:{ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا } [النحل: ٩٢] الآية. والآية الكريمة تشير إلى امرأة خرقاء كانت بمكة كلما غزلت شيئا نقضته بعد انبرامه[2]..

وفى سورة النمل يخبر الهدهد سليمان عليه السلام بأن مملكة سبأ تملكها امرأة كانت تشتغل بالملك ورئاسة الدولة. وقد ورد ذلك في قوله تعالى:{ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

(1) ص363 من الجزء الثالث من تفسير القرآن العظيم - لابن كثير.
(2) نسب هذا القول إلى عبد الله بن كثير السدى ص566 من الجزء الثانى من تفسير بن كثير

عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾} [النمل: ٢٢ - ٢٣]. وفى سورة البقرة تشير آية كريمة إلى اشتغال بعض النساء بالإرضاع بأجر لمن تحتاج إليه. فيقول الله عز وجل:{وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ} [البقرة: ٢٣٣] وفى سورة الطلاق:{فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ} [الطلاق: ٦].. فكل هذه الحرف والفنون تعلمتها بعض النسوة وبرعن فيها وأتقنَّها واشتغلن بها بعد ذلك..

أما في مجال السنة النبوية المباركة، فتشير بعض الأحاديث النبوية الشريفة إلى بعض هذه الحرف التي تعلمتها بعض نساء المسلمين وبرعن فيها واشتغلن بها. فبالإضافة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق والذى يحث فيه الشفاء على تعليم حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها كيف تحسن الكتابة - ورد من الأحاديث الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشير إلى أنه علم فاطمة الزهراء رضى الله عنها كيف تعالج الجروح حتى تندمل في إحدى الغزوات. وأن أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها وبعض الصحابيات كن يضمدن الجرحى ويسقين العطاش[1]. وأن أم حرام رضى الله عنها ركبت أول أسطول عربى مقاتل في البحر المتوسط فسبقت بذلك المرأة العربية المسلمة نظيرتها في كل أنحاء العالم في ركوب البحر للجهاد في سبيل الله منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وهو مالم يحدث حتى الآن بطريقة منظمة في العالم كله شرقه وغربه. فعن أنس بن مالك رضى الله عنه: " كان رسول الله صلى

(1) ص95 من كتاب الدكتور عبد الله شحاته في المرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر، وحديث أنس في سقى عائشة وأم سليم الجرحى ص 237 من الجزء الثانى من كتاب اللؤلؤ والمرجان.

الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت مِلحان فتطعمه. وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمته وجعلت تَفْلِى رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استيقظ وهو يضحك: قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال:♂**ناس من أمتى عُرضوا علىّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسِرَّة - أو مثل الملوك على الأسرة**ـــ شك إسحاق - فقالت: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك. فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال:♂**ناس من أمتى عرضوا علىّ غزاة في سبيل الله**ـــ - كما قال في الأول - قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، قال:♂**أنت من الأولين**ـــ فركبت البحر في زمن معاوية بن أبى سفيان فصُرعت على دابتها حين خرجت من البحر فهلكت "[1]..

ومن ناحية أخرى اشتهرت زينب طبيبة بنى عواد بطب الأبدان والعيون[2].. وقد مر بنا اشتغال بعض النساء بالغزل كما ورد في الحديث السابق لأسماء بنت يزيد الأنصارية وبغيره من الحرف النافعة للمرأة في حياتها العملية.

وهكذا نرى حرص الإسلام على تعليم البنت والمرأة ما يصلح من شأنها وشأن زوجها وبيتها وأولادها وبناتها في صغرها وكبرها. وخصوصا في هذا العصر الحديث الذي اشتدت فيه العداوة للإسلام والمسلمين وشنت فيه حروب كثيرة من دول قوية على شعوب

(1) رواه عبد الله بن يوسف عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك ص 17 من الجزء الثانى من صحيح البخارى، عناية الدكتور محمد تامر.
(2) تطور النظرية التربوية - صالح عبد العزيز ص 67 طبعة عام 1947م.

ضعيفة لم ترتكب جرما إلا أنها تمسكت بديانة الإسلام وطبقت تعاليمه، وحدث هذا تحت ستار محاربة الإرهاب وتحرير المرأة. وتسلطت فيه الأضواء على المرأة والبنت المسلمة في محاولة مكشوفة لدفعها إلى ترك الحجاب والتحرر من أحكام الدين الإسلامى وتعاليمه، التي تحفظهما من الذل والهوان وارتكاب المعاصى والآثام، وتقليد الدول غير الملتزمة بهذه الأحكام[1] حتى يكون الجميع سواسية في المذلة والامتهان، ولا حول ولا قوة إلا بالله الملك العلام.

وما أشبه الليلة بالبارحة حيث يحارب الحجاب الآن في العديد من الدول الإسلامية فضلا عن الدول غير الإسلامية وأقرب الأمثلة إلى الأذهان ما حدث في الدولة الألمانية حيث قتل متعصب ألمانى امرأة مسلمة واتهمها بممارسة الإرهاب لا لشيء إلا لأنها منقبة. وهذا هو الدافع الأساسى وراء قتلها.. كما يدنس القرآن الكريم ويداس بالأقدام في العديد من بلدان العالم ويستهزأ برسالة الإسلام وبرسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم كجزء من محاربة البعض للإسلام والمسلمين تحت ستار محاربة الإرهاب لا لشيء إلا للغل والحسد والعداوة غير المبررة للإسلام والمسلمين وآخر ما تم في هذا المجال تهديد قس أمريكى بحرق المصحف إذا أنشئ مركز إسلامى في مكان أحداث الحادى عشر من سبتمبر. وقد استنكر هذا التهديد المسلمون جميعا في مشارق الأرض ومغاربها. واستنكر ذلك أيضا غير المسلمين من بعض الدول الأجنبية.

فإذا كانت الزوجة عالمة بما يجب عليها نحو زوجها وأولادها

(1) ص12 من كتاب المرأة والسياسة في صدر الإسلام - للدكتور أحمد الكبيسى. مكتبة 14 المكتبة بالعين أبو ظبى.

وبناتها وبيتها ومجتمعها الإسلامى، ومؤدية كل حقوق زوجها الشرعية - فإن كل ذلك من شأنه أن يجعلها تنجح في الصمود أمام أعدائها فيسعد الزوج بزوجته وبحياته الزوجية، مما يجعله يضحى من أجلها ومن أجل سعادتها في هذا البيت الإسلامى بكل ما يملك، ويؤدى حقوقها على أحسن وجه. فينتج عن ذلك الوصول للغاية الإسلامية النبيلة من الزواج وهى السكن والمودة والرحمة بين الزوجين، مما يجعلهما دائمى الحفاظ عليها. بفضل إيمانهما واخلاصهما وتقواهما. يقول الحق تبارك وتعالى:{ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الروم: ٢١].

* * *